سلسلة الخطب المنبرية

(٠٤)

خطبة جمعة

عداوة أهل الشرك

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمـــٰن الرحيم

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، بشّـــر وأنذر؛ بشر بالجنة وأنذر من النار، بشّر أهل اليقظة والعمل، وأنذر أهل الخدور والغفلة، بشّر المتـــيقِّظين العاملين بدار الجنة بدار الخلد والنعيم، وبشر أهل الخدور والكسل والغفلة بأنّ لهم النار، بشّـــر عَلَيْـــهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فطوبى لمن قبل بشارته، وأنذر، فخسرا لمن لم يأخذ بإنذاره و لم يرفع به رأسا، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التّقوى.

عباد الله إنّ المتأمل المتدبّر الناظر في تاريخ الإسلام منذ بعثة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى يومنـــا هـــٰذا ليجد أمامه حقيقة واضحة لا مجادلة فيها ولا ارتياب، وهي أنّ أهـــل الشرك –الذين هم حزب الشيطان وجنود الشيطان– يتواصون ويتتابعون أولهم وآخرهم على السعي في إطفاء نـــور الله، وعلـــى السّعي في بسط اليد واللسان في رد هذا الدِّين وفي إضعاف قناعة أهله به:

تارة ببسط الحرب باليد.

وتارة ببسط الحرب بالمال.

وتارة باللسان بما يُلقون من تشويهات وبما يشوّهون به الإسلام حتى لا يدخل فيه الدّاخلون وحتى لا يثبت عليه من اقتنع به واعتنقه.

ففي الأمر الأول النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وُوجِهَ بأنواع من الحرب: قيل إنه شاعر. وقيـــل إنـــه كاهن. وقيل إنه صابئ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وذلك من المشركين؛ لكي يُبعدوا الناس عن الاقتناع بالإسلام، لكي يبعدوا الناس عـــن الدَّينونـــة لله بالإسلام بالتوحيد له ونبذ الشرك والطواغيت والأوثان.

كل ذلك منهم تتابعوا عليه أولهم وآخرهم من بعثة نوح عليه السلام إلى بعثة محمد صَـــلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك كلّ رسول يأتي قومَه وقومُه يَصُدّونه ويُصِدّون عن الدِّين برميهم له بالألقاب، ورميهم له ببعض ما يصدّ الناس عنه، وبالتكذيب، وبأنواع الإيذاء، قال جل وعلا: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[الذاريات:٥٣].

تنوّعت الحرب على المؤمنين في مكة: تارة بتلك الشبهات، وتارة بالشهوات، فقد عُرِض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أن يكون ملكا لو أراد.

أن يكون غنيا لو أراد.

أن يكون مزوّجا بأحسن الحسنيات لو أراد.

ولكن كل ذلك لم يقبل به النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ لأنه إنما أُرسل بشيرا ونذيرا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبإ:٢٨]، فإنما أُرسل بالجنة يبشر بها، أُرسل بالنار ينذر ويخوف بها، ويصدّ الناس عن التساقط فيما يؤدي إليها.

لم يكن همّ الرّسل أن يتملّكوا، ولا أن يغتنوا، ولا أن يسألوا الناس أجرا، ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[ص:٨٦-٨٨].

أوذي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأذى الحسّي، ورُمي بالحجارة، وسُكب على ظهره سَلَا الجزور وهو يصلي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وأوذي المؤمنون من حوله أشد الإيذاء، حتى إن صحابة رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –وهم الصفوة الخلّص– شكوا إلى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ما يلقون من أذى المشركين فبلّغهم –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– بالسنة الماضية أن من كان قبلهم كان يؤخذ أحدُهم فيُنشر بالمنشار ما بين جلده وعظمه لا يصدّه ذلك عن دينه، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((**وليُتِمَّنّ الله هذا الأمر حتى تخرج الضعينة من مكّة إلى صنعاء لا تخشى إلا الله**))، ثم قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((**ولكنكم قوم تستعجلون**)).[1]

حارب المشركون المؤمنين في مكة بالحرب المالية، فحُوصروا في شِعْب أبي طالب، الحصار المعروف المشهور، حتى كان رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وصحبُه يأكلون الجلود البالية ويأكلون خَبَط الشجر ويأكلون الورق؛ لأنهم لا يجدون شيئا، حتى فرّج الله لهم.

([1]) **البخاري**: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: (٣٦١٢).

ولما كان من النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– البحث عن ناصر له، وذهب إلى الطائف أوذي أشد الإيذاء حتى لحقه السفهاء والصبيان يرمونه بالحجارة، حتى أُدميت قدما رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، والنبي –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– يخاطِب ربه ويسأل ربَّه داعيا يقول: ((**إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، لك العتبى حتى ترضى؛ ولكن عافيتك أوسع لي**))[1] عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

كذلك –أيها المؤمنون– لما هاجر النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى المدينة ولقيه الأنصار من الأوس والخزرج كانت هناك يهود ونبتت هناك نابتة المنافقين في داخل الدولة المسلمة وفي داخل المدينة المنوّرة؛ نبتت تلك النابتة تُعادي الإسلام وأهلَه من داخل الصفّ، تعادي الإسلام وأهله من داخل الدولة وفيهم اليهود، وأولئك المنافقون يوالون اليهود، فاليهود أعداء ظاهرةٌ عداوتهم، والمنافقون أعداء خَفِيَّةٌ عداوتهم، وبعضهم أولياء بعض، ﴿**وَالذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾[الأنفال:٧٣].

أنزل الله –جل وعلا– القرآن يبيّن للمؤمنين أعداءهم، من ذلك الوقت إلى يومنا هـٰذا الأعداء هم الأعداء، فبيّن –جل وعلا– أن المشركين أنهم لنا أعداء، قال جل وعلا: ﴿**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾[الممتحنة:٢].

ويَدخل في المشركين كلُّ مِلَلِ الشرك التي كانت والتي هي موجودة اليوم ممن يعبدون الأوثان والأصنام ويعبدون غير الله –جل وعلا–، كلهم أعداء للمؤمنين، أعداء للرسالة، أعداء للقرآن، ﴿**وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيرًا**﴾[النساء:٤٥].

اليهود لنا أعداء والنصارى لنا أعداء، ليس ذلك من استنتاج العلماء؛ ولكنه خبر من السماء، خبر من الله الذي يعلم السّر وأخفى.

فاليهود والنصارى لا يفتَؤُون في عداوتهم للمؤمنين أن يتربصوا بهم السوء، ويعملوا لهم كل غائلة ودائرة، حتى تحيط بهم من ورائهم، ومن داخل صفّهم.

بيّن –جل وعلا– أنهم يُظهرون لنا العداوة وما تُخفي صدورُهم أكبر.

وهكذا لما توفِّي رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تلخّصت العداوة من أعداء الله للمؤمنين في أولئك الأصناف في تلك الفئات: **المشركون والمنافقون واليهود والنصارى**.

([1]) السلسلة الصعيفة للشيخ الألباني برقم (٢٩٣٣)، وقال: رواه الطبراني في المعجم الكبير واعبن عدي.

أولئكم هم أعداء الإسلام، أولئكم هم أعداء أمة الإسلام، أولئكم هم أعداء توحيد الله، أولئكم هم الذين يدعون إلى الشرك، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[الممتحنة:٠٢]، هـٰذا خبر الله جلّ وعلا.

هـٰذا الأصل –أيها المؤمنون– مهما اختلف الزمان وتنوّعت الأحوال، هـٰذا أصل أصيل، بيّنه الله –جل وعلا– في كتابه ودلّت عليه سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهـٰذا الأصل يسميه أهل العلم **الولاءُ والبراء**؛ لأنّ أصل الإسلام الولاء للإيمان والبراء من الشرك، محبة الإيمان؛ محبة التوحيد، وبُغض الشرك وبغض الكفر، ويتبع ذلك محبة المؤمنين، يتبع ذلك محبة المؤمنين وبغض المشركين، هـٰذا مهما اختلف الزمان، فيبقى ما أخبر الله هو الحق، قال جل وعلا: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾[النساء:٤٥]، فلمّا كان القرآن قد انقضى تنزُّله انقضى تنزيله بقي خبره محكما في ذلك إلى قيام الساعة، الأعداء هم الأعداء، لا يمكن أن يكونوا أحبة في يوم ما؛ إذِ الله –جلّ وعلا– هو الذي أخبر بعداوة أولئك جميعا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[الأنفال:٧٣]؛ يعني: لا تتولوهم ولا تتخذوهم أولياء، لا تتخذوهم أنصارا، لا تتخذوهم أحبة، وإنما اتَّخِذُوا المؤمنين أحبة؛ لأنّ عقد الإيمان هو الذي جعل تلك الوَلاية بين المؤمنين أكمل ما تكون؛ لأنَّها في الله ولله وفي دين الله، ورابطة الإسلام أقوى من كل رابطة، ورابطة الإيمان فوق كل رابطة.

إذا تنوّعت الحرب على المسلمين أو على الإسلام فلنقل جميعا: إن ذلك أخبر الله –جل وعلا– به في كتابه.

وإذا كان الأمر كذلك فليس مجالا للاجتهاد، ليس مجالا للتفكير، ليس مجالا للعقليات إنما هو خبر محكم أنّ كل مشرك بشركه عدو للإسلام وعدو لأهل الإسلام؛ لكن الكفار على قسمين:

- منهم من يُظهر عداوته للإسلام.
- ومنهم من لا يظهر عداوته، وإنما يخفيها.

ومنهم فئة قليلة إنما يسعون لمصالحهم، ليسوا بمتحمّسين لدينهم، ليسوا بمتحمّسين للمسلمين، ليسوا منافحين عن كفرهم وديانتهم.

فإذن هناك من يظهر العِداء في أنحاء شتى تارة بالنيل من المؤمنين، من المسلمين، بقتلهم أو تشريدهم في شتى البقاع التي يتسلّط فيها أعداء الإسلام.

وهـٰذا ظاهر متمثّل فيما حدث في الأسابيع الماضية؛ بل في السنوات الماضية؛ بل في القرون الماضية.

وهـٰذا ظاهر متمثِّل أيضا فيما ترون وتسمعون كل حين في هذه الأيام وفيما تستقبلون وإن لله وإن إليه راجعون.

ومنهم –وهم الأخطر والأشد– الذين تخفى عداوتهم الذين هم إما منافقون وإما من هم من جنس المنافقين في إخفاء العداوة، يُخفونها ويَصِلُون إلى النيل من الإسلام وأهله ومن التّوحيد وأهله، يَصِلُون إلى ذلك بأنواعٍ شتى من الحيل والمكر والكيد لا تظهر لكثيرين، يغطّونها تارة بأنواع من الإعلام لا يظهر للنّاس أن في طيّاتها، وفي خِلَلِها عداوة للإسلام وأهله، وهـٰذا لأنّ بعض أولئك لهم من الذّكاء والفِطنة ما يعلمون أنّ إشعال الحرب على الإسلام بصراحة في هـٰذه السِّنين لا يصلح؛ بل لا يصلح إلا التجسّس في حرب الإسلام وأهله.

وهـٰذا –أيها المؤمنون– يجب أن يكون واضحا تمام الوضوح أمام المؤمنين في أعينهم وقلوبهم، حتى لا نحتاج معه إذا حَدثَ حدثٌ في كل أسبوع أو في كل شهر أو ما بعد ذلك لا نحتاج إلى بيان ذلك تكرارا ومرارا؛ فننشغل عن بيان أصولٍ من أصول الإسلام أخرى، فإذا استمسكنا بهـٰذا الأصل دائما كان ذلك معنا كالميزان والقِسطاس الذي لا يخفى، والذي لا يزلّ معه فهْم، ولا يختلط معه عقل وفكر، ولا يضل معه قلب مؤمن.

أسأل الله –جل وعلا– لي ولكم البصيرة في القلوب.

أسأل الله لي ولكم أن يجعل في قلوبنا محبة للإيمان وأهله، محبة لله ولرسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ولدينه فوق محبتنا لكل شيء.

أسأل الله لي ولكم أن يجعل يقيننا بالإسلام، أن يجعل يقيننا بما أخبر الله في القرآن، لا يقبل شكا، ولا يَعْرِضُ له ريب، إنه الذي قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه.

واسمعوا قول الله –جل وعلا– أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢)**﴾[الممتحنة:١-٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقا وتوبوا إليه صدقا إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلــٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، بشّر وأنذر، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعدُ؛

فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشرّ الأمور محدثاتُها وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإنّ يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله فإن بالتقوى فوزكم وفلاحكم ورفعتكم في الدنيا والأخرى.

عباد الله، إن الكفار والمشركين الذين يعيشون في دار الإسلام لهم حكمان:

أما الأوّل: فهم إن أظهروا عداوتهم للإسلام، إن أظهروا عداوتهم للمسلمين فهؤلاء يجب على المؤمنين أن يُظهروا لهم العداوة وأن يبارزوهم بمثل ما بارزوا به، وأن يسعوا في إخراجهم عن دار الإسلام حتى لا يُضِلُّوا وحتى لا تكون فتنة.

الصنف الآخر: فهم الذين لم تظهر منهم عداوة، وإنما حالهم ليست بظاهرة، حــالهم في الســعي في مصالحهم، حالهم أنهم لم يبارزوا المسلمين بإيذاءٍ بقول أو بمال، حالهم أنهم لم يؤذوا المــؤمنين، فهــؤلاء حكمهم أنهم يعاملون بالعدل في الظاهر؛ لأن الله –جل وعلا– قال في محكم التنزيل: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّــهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَــيْهِمْ إِنَّ اللَّــهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُــوكُم مِّــن دِيَــارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)**﴾[الممتحنة:٨-٩]، أخبر الله جل وعلا أن من لم يُظهر لنا العداوة فإننا نعامله بالعدل، نعامله بالقسط، نعامله بما أمر الله –جل وعلا– أن نعامله به، لم ينهنا الله –جل علا– أن نُقسط إليه، فلا يجوز أن نبارزه بالعداوة ما دام لم يُظهــر لنــا العداوة، لا يجوز أن نؤذيه ما دام أنه لم يؤذِ المؤمنين و لم يُظهر عيبا للإسلام و لم يظهر قدْحا فيــه ولا في أهله.

فهــٰذا الأمر بالعدل أمر عظيم من أصول الإسلام ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾[النحل:٩٠]، فالعدل للجميع –للمؤمن وغير المؤمن– أمر

واجب، والبغي منهي عنه محرم سواء كان على المؤمنين أم كان على غير المؤمنين ممن لم يُظهروا عداوة للإسلام وأهله.

فبهـٰذا يتبين الأمر ويتكامل الحكم في ذهن كل واحد منا يتبيّن حكم الشرع لأن:

- منا من يجفو فيحسن إلى المشركين ولا يبغضهم، ولا يُظهر لهم العداوة مع أنهم يظهرون لنا العداوة.
- وآخرون يغلون فيعلمون من لم تظهر منه العداوة بالجفاء والغلظة.

والله –جل وعلا– بيّن لنا حكم هؤلاء وحكم هٰؤلاء، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)﴾[الأنعام:٥٧].

واعلموا رحمني الله وإياكم أن الله جل جلاله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال قولا كريما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى الآل والصحب والآل، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم انصر عبادك الذين يجاهدون في سبيلك لتكون كلمةُ الله هي العليا، اللهم أمدّهم بمدد من عندك، وانصرهم وقوِّهم وأعزّهم يا قوي عزيز.

اللهم أمّنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ودلّهم على الرشاد وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد، يا أكرم الأكرمين.

اللهم إنا نسألك أن ترفع عنّا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هـٰذه بخاصة، وعن سائر بلادنا بعامة، يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك صلاحا فينا جميعا، لا يغادر منا أحدا رجالا ونساء، صغارا وكبارا، علماء وولاة، وأنت مجيب السائلين.

عباد الرحمـٰن: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠]، أذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه عن النعم يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.